

قراءة في خطاب المثاقفة ورهانات العولمة الثقافية

الثقافة العالمية: أية إمكانية؟

Reading in the discourse of interculturalis mand the stakes of cultural globalization

International culture How possible is this ?

طالبة دكتوراه / لعور صورية

الأستاذ الدكتور / جمال مباركي

قسم الآداب واللغة العربية- جامعة محمد خيضر-بسكرة- الجزائر

مخبر الانتماء: وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها

laouarsoray@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/03/15

تاريخ القبول: 2021/01/03

تاريخ الإيداع: 2020/10/29

الملخص:

يعيش العقل الغربي مفارقة غريبة ونرجسية مقبلة، فيقدر تماديه في إقصاء ثقافة الآخرين وتهميشها، وإصراره على مصادرة حقهم في الاختلاف والتباين، واستحواذه على مقاليد صوغ القيم والقوانين العالمية، منطلقا من أطروحة عنصرية تقول بتفوق ثقافته، بقدر دعوته إلى الاعتراف بالطابع الكوني الشمولي المبني على الانفتاح الحضاري والتبادل الثقافي والتلاقح الفكري واحترام الخصوصيات الثقافية للشعوب.

في هذا السياق، هل يمكن الجزم بنجاح فعل المثاقفة، وبإمكانية قيام ثقافة عالمية إنسانية؟!!

الكلمات المفتاحية: حوار الحضارات- المثاقفة- الأنا والآخر- الامبريالية الثقافية- العولمة- العولمة الثقافية- الثقافة العالمية.

Abstract :

The western thought lives in such a strange abhorrent narcissistic paradox. As much as its persistence in excluding and marginalizing the culture of others, its insistence on confiscating their right to difference and dissimilarity and its seizing

the rains of formulating international values and laws ; based on a racist thesis claiming the superiority of its culture, it calls in return for recognition of the universalistic character founded on openness of civilization, cultural exchange, intellectual cross-fertilization and respect for the cultural features of nations.

In such a context, can be categorical of the success of interculturalism and the possibility that an international human culture may be initialized ?

Keywords :

Dialogue of civilization- interculturalism- the self and the other-cultural imperialism- globalization- cultural globalization- international culture.

مقدمة:

تشكل الحضارات المتعاقبة قصة الوجود الإنساني فليس ثمة حضارة كبرى في سيرونة التاريخ نقية القواعد والأصول، ولا خالية من تأثير غيرها فيها، فالعناصر المكونة لأي ثقافة تنحدر من منابع متعددة.

وقد كانت الثقافات ولا تزال أنساقا مركبة متولدة عن لقاءات مستمرة، طبعت أحيانا بطابع وُدي، وأحيانا أخرى بطابع عدائي استعلائي، لذلك يستحيل أن تكون البنى التحتية المادية واللامادية لحضارة ما خالصة لأصحابها، إذ لا تكف هذه الأخيرة عن إنتاج ذاتها.

والتطور الإنساني هو نتيجة لتراكم الخبرات، وتراتب المعارف، وتعدد التجارب، ولكل مجموعة بشرية بصمتها الخاصة في صنعه، خصوصيات متباينة إضافة إلى رصيد مشترك.

1- حوار الحضارات وتلاقحها:

اتصال الحضارات ببعضها وتقاربها ظاهرة قديمة، تداخلها وتلاحقها ليس ظاهرة عرضية، بل هو إحدى الصيغ العادية والسنن الكونية للتطور الإنساني، وقد حدث هذا التداخل بشكل طبيعي في الماضي، عبر آليات ووسائل مختلفة منها: الاحتكاك، والحروب، والتجارة، والترجمة، والتزاوج، وعقد التحالفات والبعثات العلمية...

مَكَّن هذا التقارب الحضارات من إغناء ثقافتها، وتجديد ذاتها، انطلاقاً من انخراطها في عمليات دينامية، سهلت عليها تبادل المعارف والتجارب والعلوم، ومد جسور التلاقح والحوار الحضاري، ورغم التباينات العرقية والدينية والمعرفية واللغوية التي تفصل بينها، محطات تفاعلية وُسمت تارة بالتعايش السلمي وتارة بالصراع والهيمنة، في ظل من الاعتراف بالتنوع الثقافي في موضع وممارسة العنف الثقافي في موضع آخر.

وقد نجحت بعض الحضارات التي كان لها حضور فعلي في التراث الإنساني في الارتقاء والاستمرار، بناءً على تفاعلها مع الغير والتكيف معه، من خلال قدرتها على استيعاب العناصر الثقافية الأجنبية الوافدة إليها، وإدماجها في تركيبها، مستفيدة من انجازاتها أخذاً وعطاءً، تأثراً وتأثيراً، لتحولها فيما بعد إلى فعل إبداعي مغاير، أغنى المنجز البشري مادياً وروحياً، نفسياً وفكرياً، وإن تم ذلك في الحضارات المتلاحقة بنسب متفاوتة وعلى مستويات متباينة.

إن البحث في العلاقات القائمة بين الثقافات ليس موضوعاً جديداً، فقد صاغت الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الثقافي مفاهيم عديدة، لفهم الآليات التي تحكمها ودراسة التأثيرات المتبادلة، ويأتي مصطلح المثاقفة ضمن جملة هذه المفاهيم، فما المقصود به؟

2- في ماهية المثاقفة (L'acculturation):

هي مصطلح سوسيولوجي أنثروبولوجي، يعنى بدراسة التغيير الثقافي الحاصل نتيجة اتصال الثقافات ببعضها البعض، أي كان شكل هذا الاتصال، وقد عرّفها ريدفيلد ولينتون وهيرسلو فيتش بأنها: "مجموعة من الظواهر الناتجة عن اتصال مباشر ومتواصل بين أفراد ينتمون إلى ثقافات مختلفة، وما يترتب عن ذلك من متغيرات في الأنماط الثقافية لهذه المجموعة أو تلك". (1)

تقوم المثاقفة في جوهرها على فكرة الاحتكاك والتفاعل بين الثقافات المختلفة، وعلى قاعدتي التأثير والتأثير، ينتج عن هذا التبادل تغيرات تطال النسيج الثقافي والاجتماعي لكلا الثقافتين المتصلتين، يحدث ذلك بمساعدة آليات منها: التأثير والتأثر والحوار والاستيراد والرفض والتمثل، مما يعني أن التركيبة الثقافية الأصلية لن تعود كما كانت من قبل.

ففي "حقول علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية، يدل مصطلح المثاقفة على ظاهرة تأثير وتأثر الثقافات البشرية بعضها ببعض بفعل اتصال واقع فيما بينها، أي كانت طبيعته أو مدته،

كما يدل على العمليات والآليات التي بمفعولها تتأثر ثقافة جماعة بشرية معينة، وتتكيف جزئياً أو كلياً مع مكونات ثقافة جماعة بشرية أخرى توجد في حالة علاقة معها". (2)

المثاقفة إحدى الصيغ العادية للتطور الثقافي لكل المجتمعات، وهي ظاهرة محايثة للوجود الإنساني وميله الفطري للتواصل مع غيره، فالتواصل هو منطلق التحضر البشري والأساس الذي بني عليه الإنسان تمدنه وحضارته الكونية، والتي هي ثمرة جهد مشترك بين الشعوب والحضارات، لذلك شبهت ب "اللحاح الكفيل بابتكار مبادئ وقيم مستحدثة وإنجاب تصورات وخيارات جديدة أقدر على السمو بالوضع البشري وأنجح في تحقيق رتبه وفتح الآفاق العريضة أمام مستقبله". (3)، لذا لا يمكن مطلقاً الشك في وجود قواسم مشتركة بين الشعوب والثقافات الإنسانية في المعطيات والأسس، فقد احتضنت التجربة الإنسانية تجارب مختلفة، وصهرتها في بوتقة المشترك الإنساني.

المثاقفة الطوعية أمر طبيعي، تعززه وقائع التاريخ الإنساني، تضعنا هذه الأخيرة أمام وضعية الاعتماد الثقافي المتبادل بين جميع الشعوب، إذ لا غنى عن الحاجة للآخر لممارسة التلاقح المعرفي والفكري، وهي أحد أبرز آليات الحوار الثقافي والحضاري بين الشعوب والأمم، إنها تفاعل خيارى طوعي وإفراز طبيعى حتى لفعل التواصل الإنساني الحضاري فقد " أثبتت التجارب التاريخية لمختلف الحضارات أن التفاعل الثقافي عامل أساسي من عوامل نموها وازدهارها وذلك بفضل ما يحدثه من إثراء وإخصاب لها، وتنوع في روافدها وتنشيط وشحن لقدراتها، وإبراز لطاقتها الكامنة". (4)، هي انفتاح فاعل وثاقف راشد يسمو بالذات ذهنياً وفكرياً، ورافد مهم تسعى الأمم من خلاله إلى استثمار ما لدى الآخرين من قيم ومعطيات إنسانية وحضارية، وإلى تنمية كياناتها الثقافية بشكل خلاق، تبادل ثقافي متزن، يقف وسطاً بين الانفتاح المطلق الذي يؤول إلى الانصهار في ثقافة الغير، وبين الانغلاق التام الذي يؤول إلى الانعزال التام والتقوقع على الذات.

لقد انفتح النص الروائي العربي على نظيره الغربي، واستفاد منه الكثير في إطار تفاعل إيجابي يقوم على الاقتباس والاستيعاب والهضم والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وغداً سيفسأ من النصوص التي تعالقت بشكل كلي أو جزئي، وتشربت من ينابيع ثقافية متلوثة، وانصهرت في نسيج واحد متألف متناغم: "فالتلاقح الثقافي بين الرواية العربية والمنظومة الفكرية الغربية واضح في متن الرواية العربية، حيث جاءت محملة بالمقبوسات أو تحويل أو تشرب أقوال من نصوص غربية مغايرة أو متفقة في الجنس والنوع والنمط على شكل تداخل نصوص أو تناص بينها وبين الفكر الغربي، في الصياغة والدلالة وطريقة البناء، أي أن النص

العربي في صيغته العلانقية يحاور بنى نصية غربية عديدة ، قد يكون هذا الحوار محاكاة للبنية الهيكلية لبعض النصوص الغربية ، أو قد يدخل في علاقات متشابكة مع نصوص أخرى كثيرة مستدعيا أو مقتطفا منها عناصر نصية هي بمثابة أجنحة نصية تثير التجربة الروائية (5).

تشرب الروائي الجزائري واسيني الأعرج من الفكر الغربي و الانساني العالمي، واستفاد من أقطابه البارزين من فنانيين و أدباء و مفكرين و فلاسفة ، واستدعى في رواياته نصوصا غربية حاورها وحوورها وبرز في ادماجها في نسيجه الروائي ليؤدي باستدعائها وظائف دلالية مختلفة تبعا للسياق الذي أوردها فيه، من ذلك روايته "2084 حكاية العربي الأخير" التي "سحب فيها على العالم العربي ، بل على العالم كله أجواء و تفاصيل كثيرة من رواية" 1984 " للروائي البريطاني جورج أورويل " واسمه الحقيقي إريك آرثر بليز ... أشياء كثيرة في 2084 حكاية العرب الأخير تشبه ما في رواية أورويل ، بل إن الأولى تستند على الثانية ، وكان أورويل قد سعى الرواية سابقا قبل اختيار الاسم الحالي (الرجل الأخير)" (6).

التناسق والايقاع بين الروائيتين واقع في العنوان و الشخصيات و المآلات و النهايات، وفي الرؤية الدسيتوبية التي تنذر بتمزق العالم وانقراض أجناس بشرية، و يحضر في الحكم الدكتاتوري للأخ الأكبر أبرز شخصيات الروائيتين ، كما أن الحرب ، رائحة الدم ، خنق الحريات، فرض الرقابة الجبرية على المشاعروالأفكار، تزييف الحقائق ،تخدير العقول ،العنصرية ،القمع ،التمويه، محو التاريخ، اللغة الاختزالية، تشيؤ الانسان ،التعسف السلطوي ...و غيرها هي أبرز تيمات الروائيتين ، مع فارق هو أن أورويل انطلق من التفاؤل إلى التشاؤم، مستشرفا نهاية الحرب العالمية الثانية إبان كانت أوروبا منتشية بانتصاراتها على النازية ،وفي عز الفرحة دق جرس الانذار محذرا من الحرب الباردة ،بينما خالفه الأعرج في ذلك ،فسارت روايته من لحظات تأزم و صراع لتندربتمزق و فناء الجنس العربي إلا آدم بطل الرواية.

و قد رصد الباحث و الناقد التونسي كمال الرياحي، تأثر الأعرج بالرواية الأمريكية اللاتينية خاصة روايات القوايتيمالي "ميغال أنخل استورياس" في دراسة بعنوان " من أثر رواية أمريكا اللاتينية في حارسة الظلال"، حيث أجرى دراسة مقارنة بين أعمال الأدبيين شملت العناوين و المضمون والأسلوب ،أكد فيها اتكاء الأعرج على استورياس، وإن ما يشدنا إلى عوام الروائي القوايتيمالي هو ذلك الصراع الذي يخوضه حسيسن بطل رواية حارسة الظلال ضد الجماعة الدينية المتطرفة والمؤسسة السياسية الفاسدة، فقد أدانت نصوص استورياس استبداد الدكتاتور كابريرا حاكم قوايتيمالا الذي استعبد أهلها وضيق على الحريات ونكل بالمعارضين تعذيبا و نفيا، وأدان بالمثل الأعرج الحكم الشمولي لبني كلبون (الارهابيين) في الجزائر الذين

استولوا على السلطة وعاثوا في البلاد فسادا ، وكان استورياس أحد الذين طلبوا اللجوء السياسي في الأرجنتين، وقد انعكست ملامح هذا النفي في مؤلفاته مثلما انعكست ملامحه في روايات واسيني الأعرج منذ مجموعته القصصية "ألم الكتابة وأحزان المنفى".

أما على مستوى الأسلوب فقد استفاد واسيني الأعرج من تقنية تكبير المنظر، و تعرف في اللغة السينمائية باللقطة الأمريكية وهي خاصية مميزة للكتابة الروائية عند استورياس ، وظفها هذا الأخير بشكل كبير في روايته "السيد الرئيس" و "ناس من ذرة" ، لتشويه شخصية الديكتاتور "استرادا"، بحيث يبدو مثيرا للاشمئزاز والسخرية، وهي عند الأعرج أداة لإبراز عيوب الشخصيات التي تمثل السلطة ،مركزا على ما يجعل منها موضوعا للتهكم والضحك، وبتحويل الوصف إلى رسم كاريكاتوري ساخر، يقول واصفا: "زكي" ممثل السلطة في مقر الأمن المركزي بالجزائر عندما قصده حسيسن للسؤال عن صديقه الصحافي الاسباني: "لم يستقبلني زكي إلا على الساعة التاسعة والنصف، كان غارقا في أوراقه، لا تظهر إلا صلته التي كان ينعكس عليها الضوء العمودي النازل من السقف، لا أفهم لماذا قصبروا القامة يصرون دائما على المكاتب التي تتجاوزهم"(7).

كما تكشف استراتيجية التناص في مفهومه الكريستيفي ، أو"ظاهرة التضافر النصي"، انفتاح رواية "أحلام مريم الوديعه" لنفس الروائي على الموروث الروائي الغربي ،خاصة رواية "دون كيشوت" للإسباني "ميشال دي سيرفانتيس"، بدءا من تصديرها بمقولة لدون كيشوت " حيث يسود الخداع تختفي الحقيقة"(8)، ويمكننا تحسس بعض المقتطفات من رواية دون كيشوت عمد الأعرج إلى اقحامها في نصه من دون حذف أو تحويل ، ولم يكتف بالتضمين أو الاستشهاد بل نسج على منوال النص الاسباني نصا روائيا آخر من خلال تعمده "المحاكاة"،و من جانب آخر جعل معارضة رواية دون كيشوت هدفا له ،فحور في بناء الشخصيات وتصرف في مصائرهما معارضا بذلك تلك الصورة التي ظهرت بها في النص السابق ، وتحولت الرواية إلى فضاء للتسامح الديني على نقيض الرواية الاسبانية التي ظلت رهينة أحاديث التعصب.

1-2- المثاقفة وجدل الأنا والآخر:

توسعت جدلية الأنا والآخر في حضن الطروحات الحداثية والفلسفات المعاصرة ونظريات الأدب، واحتلت هذه الثنائية مكانة هامة في الفكر الإنساني العالمي، فالحديث عن الآخر يعني اكتشاف الذات وعلاقتها به ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا، ففي حضوره تعي الذات شعورها بذاتها وتزداد رغبتها في الاكتمال والتمايز والاختلاف:"إن الآخر يشكل مساحة أخرى

لحركة الأنا، وامتدادا طبيعيا لتلاحمهما معا في شبكة من العلاقات. ولولا الأنا ما كان الآخر، ولولا الآخر ما كانت حركة الأنا". (9)

يقودنا الحديث عن هذه الثنائية إلى الحديث عن الهوية، "وواقع الأمر أن خطاب الأنا والآخر في شكله العادي، هو خطاب الهوية، حيث رفع شعار الهوية والتصفيق له، إلى الزهد بمصطلح الهوية أو رفضه، تعبير عن تاريخ بفصل الطرفين وتعليق عليه، فلا وجود لأنا إلا داخل تاريخ اجتماعي وثقافي أنتجها، ولا وجود لآخر إلا في علاقة مع آخر غيره، اعترف به وأخضعه، ومنع حقوق الاعتراف المتبادل، ولعل هذا الفرق الذي يعني القوة مرجعا... لأنه لا وجود لهوية إلا في مقابل هوية أخرى". (10)

شكلت المثاقفة الفضاء الذي تتعرف فيه الهويات المتباينة على بعضها البعض، الأمر الذي سيدفعها إلى الإقرار بأهمية وجود الآخر، و يمنحها هويتها الثقافية المتميزة وخصوصيتها المتفردة، والتي تستمدّها من تفاعلها مع مبادئها ومقوماتها الحضارية وميراثها الفكري، وثوابتها الأصلية، وبها تواجه الآخر، فالمثاقفة: "تجربة إنسانية تمتحن بواسطتها قدرة الذات أو بالأحرى وعي الذات من حيث هو تمثيل للهوية على الانفتاح على الآخر لدرجة اعتباره جزءا من تاريخ هذه الذات، مع وعي المسافة التي تفصل هذه الذات وتاريخها من جهة وبين هذه الذات والآخرى من جهة أخرى". (11)

إن للهوية دورا مهما في عملية إنتاج الذات الفردية والجماعية، وتأكيد جوهرها وخواصها الأساسية وإعطائها معنى مستقلا وفريدة، ولا يمكن لأي أمة أن تسهم في بناء الهرم الحضاري الإنساني، ما لم تمد جسور الحوار، والتبادل المتكافئ مع الأمم الأخرى، وما لم تنظر إلى الهوية باعتبارها استدعاء وجوديا للآخر، مع وعي بخصوصية الانتماء: "إننا نقول بوعي المسافة أو "التماسف"، لا لتعميق الفجوة بين الهويات الثقافية المتباينة، وإنما للتأكيد على قابلية كل هوية ثقافية لاستقبال وتمثل عناصر هوية ثقافية أخرى، ليس ذلك من قبل "تغريب الأجنبي"، بل من قبل "تقريب البعيد"، بحيث يصير امتلاك الهوية مشروطا "بالغيرية" (L'altérité)، عبر جدل التباعد والانتماء، أي التباعد الناجم عن وعي المسافة بين الذات والآخر، والانتماء الحاصل بفعل المشاركة في تجربة الوجود". (12)

الاختلاف إذن قوام الهوية الثقافية وشرط حوارها مع الهويات الأخرى، إذ لا وجود لثقافة معينة إلا في علاقتها بثقافات أخرى مختلفة عنها، تحترم خصوصيتها، ولا ينبغي الفهم بأن فعل

المثاقفة يعني الاستعارة والنسخ، بل هي فعل إبداعي يروم إعادة التأسيس، من خلال تكييف المرجعيات المستمدة من الثقافات الأخرى مع المكونات المحلية .

وبهذا تكون المثاقفة إحدى آليات تعميق التجربة الإنسانية ،من خلال توسيع نطاق الفعل التواصل "إن تطور الأنساق المعيارية للمجتمعات، وتنامي وعي هذه المجتمعات بذاتها ووعي الأفراد بذواتهم منوط بمدى توسيع نطاق الفعل التواصل، المستند على التفاعل الاجتماعي والتفاهم المتبادل القائم على المثاقفة الإيجابية من دون شك تجعلنا بإزاء بعد حوارى تعايشي تكاملي، حفاظا على مجموعة من الأفكار الإنسانية في تحقيق الحوار، فضلا عن الحفاظ على التنوع والاعتراف به كظاهرة إنسانية حتى يصبح الحوار ضرورة إلى دفع الناس لبناء حضارة إنسانية متكاملة".(13).

فلا ريب أن التفاعل الثقافي الصحي والحقيقي يقوم على اقتباس أكثر العناصر إيجابية من الثقافات الأخرى، إنه أخذ وعطاء ثقافي بين الذات والآخر من أجل صياغة جديدة تعكس رؤية تطويرية وحضارية للعالم، تبنى على أساس الشراكة بينهما، مثاقفة راشدة تفصل بين المشترك والخاص، وبين المطلق والنسبي، تنوء عن ضياع الحدود الكلية بين الذاتين المتثقفتين، فتتماهى إحداهما في الأخرى إلى حد الذوبان والتلبس، وإنما تظل كلاهما محتفظة بثوابتها وخصائصها المتفردة.

2-2- المثاقفة والامبريالية الثقافية:

من الخطأ حصر مفهوم المثاقفة في نطاق إيجابي فقط، فقد تجاوز إلى توظيفات سلبية على مستوى التصور والحركة أيضا، لقد اقترن فعل المثاقفة بالخطاب الكولونيالي وما بعده ،وكرس لمنطق الهيمنة والاستعلاء والاستتباع، ومارس إرهابا فكريا منظما زلزل صروح القيم والخصوصيات، وهي بالمعنى الامبريالي علاقة بين ثقافة متفوقة وأخرى متخلفة ثقافة مستعمر ومستعمر، مثاقفة قسرية تعني التكييف القهري لإرادة ثقافة الغالب، ثم وصلت إلى مفهوم الدعوة إلى التفاعل الطبيعي وفق شروط المركزية الغربية.

المثاقفة بهذا التصور تعبير عن مركزية ثقافية غربية وتأكيد لغبتها "فالذاكرة الغربية مترعة بخيالات الشعوب والاحساس عمليا بضرورة إلزام الآخر الحضاري بالاندماج الطوعي أو القهري تحت ظلال المركز والتفريط في مقومات وجوده المستقل وخصوصياته الثقافية والحضارية".(14) ، فالآخر الغربي لا يعترف بالغيرية، ولا يسلم بوجود طرف محاور مكافئ له، لا يحاور إلا ذاته، ولا يرى إلا نفسه، يؤمن أن نموذج الحضاري هو النمط المثالي الذي يجب

تمريره عالميا واستنساخه وتمثله على كل الأصعدة، نوع من الإملاء الثقافي، وفعل إقصاء متعمد، وغزو فكري يستهدف احتلال العقل من خلال تصيد مساحات الضعف لتخريب المناعة الذاتية للكيان الثقافي، ومن ثم يحكم الهيمنة عليه وعلى إمكاناته القومية، من خلال آلية صناعة العقل وتوجيه الثقافة والسلوك، فتفوقه الاقتصادي والفكري والثقافي في الحاضر والتاريخ هو الذي أوقع الشرق والحضارات الأخرى في مأزق أرغمها على خياراته والرضوخ له، "من ليس معنا فهو ليس ضدنا فقط، بل عدو يجب محاربته"، يجب أن يمضى لأنه خطر على مسيرة الانسانية الجديدة التي نبنها اليوم بكل ما نملك من نار وعقل" (15)، "نسهر على كل شيء ونفكر لك، ستصبح جزءا من المنظومة العامة، نظامنا وشعارنا الكل مع الواحد، لأن الواحد هو حامي الكل" (16)، "ليس ممنوعا يا صديقي أن تفكر، ولكن ممنوع أن تفكر بشكل مخالف ... الخطر ليس في التفكير ولكن في التفكير المختلف" (17)، "العربي لا يصبح جيدا إلا بموته"، كائن غريب متعلق حتى الموت بفضلات التاريخ، ولا أعرف ماذا يجني من ذلك" (18). هي شعارات يرفعها ليتل بروز قائد قلعة أميروبا، عنصري حتى النخاع، يعامل الكل بفوقية واستعلاء خاصة آدم العربي، الذي ينعتة بال مخلوق الغريب، ويستغرب كيف لعربي أن يفكر؟، يعطي نفسه الحق في مصادرة حقوق الآخرين وإلغاء واقعهم ووجودهم تدريجيا، بغية تحويلهم إلى جسم ميت، بإقصائهم من مسرح الوجود، تفكيره امتداد لأسطورة هتلر القائمة على فكرة النقاء العرقي، فالرجل الأبيض لم يتخلص بعد من فكره الأصولي العدائي.

المثاقفة التي يسوقها الغرب المركزي بأنها نوع من الحوار والتبادل الثقافي تحت قناع الانفتاح على الآخر الغيري هي في الحقيقة استراتيجية محكمة، صورة من صور الاسترقاق والتبعية ثقافية، فطالما برع في صياغة الخطابات التي تبرر سيطرته، وتجبر الهامش على الدوران في حدود فلكه الثقافي، فهو دوما منتج القيم الإنسانية النبيلة وواضع معايير التقدم انطلاقا من ثوابته الثقافية والحضارية والدينية "معتبرا إياها جذورا خاصة به، ومستحوذا في الوقت نفسه على كل الإشعاعات الحضارية القديمة، وقاطعا أواصر الصلة بينها وبين المحاضن التي احتضنت نشأتها. مما يعني إقصاء لكل ما هو ليس غربيا، دافعا به إلى خارج الفلك التاريخي الذي أصبح الغرب مركزه، على أن يكون مجالا يتمدد فيه، وحقلا يجهزه بما يحتاج إليه" (19).

يفتقر الخطاب الثقافي الامبريالي إلى المساواة وإلى الإيمان بالشراكة الإنسانية في القيم العامة، وتقوم فرضيته على ثنائية ضدية، هي ثنائية الأنا الفوقي والآخر الدوني المنحط "ولا سبيل إلى لقاء بينهما إلا حين يدرج المستعمر كتابع للمستعمر فربما جرى تعديل وضعه، لكنه لن يكتسب السوية البشرية الطبيعية، فيكون بذلك مثل العبد الذي يحاول تقليد سلوك

سيده، لكنه لن يتبوأ رتبة السيادة، فعبوديته تبقى المانحة لقيمتها، وكذلك الأمر في سوق التداول الاستعمارية، حيث تكون التبعية علامة امتثال بها تحدد قيمة التابع" (20).

يؤثر هذا التلامس السوسيوثقافي القهري على الكينونة الثقافية للجماعات البشرية، وعلى عوالمها المادية والروحية، ويخلق صراعا على مستوى المعايير السيكولوجية والقيم والرموز الثقافية وعالم الأفكار والمعتقدات، ويقتضي تحفظا من الأنا المثاقفة في استقبال واستيعاب مفاهيم الغيرية، باعتبارها بنية مضادة، مخالفة لتركيبته فكريا، وثقافة وقيما، وسلوكا "وبين منطق هوية الذات في الحرص على تعزيز الوجود، ومنطق هوية الآخر في الحرص على الاستغلال بمفهومه الكولونيالي، ضاعت حقيقة الاعتراف بالتبادل، انطلاقا من الخلافات الثقافية، التي يراد لها أن تكون مشروعا ثقافيا، تنطوي تحته كل المشاريع النفعية" (21)، ذلك "أن الثقافة الغربية تريد من العالم أجمع أن يعتمد المعايير المادية النفعية الغربية كأساس لتطوره، وكقيمة اجتماعية وأخلاقية، وبهذا فإن ما تبقى يجب أن يسقط وما تبقى هنا هو ليس خصوصية قومية، بل مفهوم الخصوصية نفسه، وليس تاريخيا بعينه بل فكرة التاريخ نفسه، وليس هوية بعينها، وإنما كل الهويات، وليس منظومة قيمية، بل فكرة القيمة، وليس نوعا بشريا، وإنما فكرة الإنسان المطلق نفسه" (22)، فباسم المثاقفة يتم التضييق على الهويات الثقافية الخاصة وحصرها في نطاق ثقافة المركز، وباسمها يتم ابتلاع الأطراف.

وتأكيدا لعمل التثاقف في شكله الإيجابي، وجب وضع حد للتصورات الفوقية الاستعلائية، ومباشرة حوارات أصيلة وجادة، نسلم فيها بالمساواة في الفاعلية بين جميع الثقافات والآداب على اختلاف سياقاتها التاريخية والاجتماعية، وسماتها الثقافية، فلا مبرر بأي حال الاعتقاد بأن إحداها تحتل موقع السابق، في حين تكتفي الأخرى بمجرد كونها لاحقا، فليس ثمة أفضلية لثقافة على أخرى، ومقولة الثقافة النقية والعرق الآري أكذوبة كبرى، فكل الحضارات والثقافات على تنوعها وتعددتها تتساوى في القيمة والأهمية، وتشكل منظومة متناغمة، وليس في تعدد الخصوصيات وتباينها ما يتعارض مع المصلحة المشتركة بين الأمم والشعوب، في ظل "التسليم بنوع من التكافؤ الفكري بين الأطراف وتنقلب إلى نقيضها عندما تختل العلاقة بين الأطراف، فيغدو إرسال وحيد الاتجاه" (23).

إن التفاعل مع الآخر والتعاطي الإيجابي بين الثقافات يتطلب ضرورة الاعتراف بمعطى أساسي هو الاختلاف، وبالحقوق الكاملة لهوية الفرد الثقافي واحترام التعددية الثقافية، التي هي معطى أساسي لقيام الحضارة الانسانية والاتفاق على المشترك الإنساني.

إن المشاركة الإيجابية وحرية الاختيار، والإصغاء المتبادل، وتلقائية المبادرة، إضافة إلى سيادة القرار، بعيدا عن التوتر والإكراهات العرقية والتحيزات الاستعلائية والهيمنة مهما كانت أشكالها وأساليبها، هي ركائز المثاقفة المثمرة، كونها نابعة من تطلعات الكيان الاجتماعي، ومن أصالته، ووعيه الخلاق الذي يقيه السقوط في متاهات التقليد الأعلى والانسحاق وراء إرادة الآخر والخضوع لسلطته، كما أن التكافؤ في الوسائل والآلات هو الضامن للاتزان والتوازن بين الأطراف، فالتحكم في الوسائل تحكم في الغايات والأهداف، وخلق للمبادرة وكسر للفاعلية وتهديد للمناعة الذاتية والخصوصية الثقافية، وطى لصفحة التمايز الذي إن هو غاب غابت معه دوافع التفاعل، وحل محله التجانس المتعسف وأشكال العنف المختلفة.

3- العولمة الثقافية بين الممكن والمستحيل:

3-1- في ماهية العولمة:

تعني العولمة: "تعميم الشيء وتوسيع دائرته، ليشمل العالم كله، يقال "عولم الشيء أي جعله عالميا" (24)، بمعنى "نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينيء عن كل مراقبة، والمحدود هنا أساسا هو الدولة القومية، أما اللامحدود فالمقصود به العالم" (25).

و العولمة نظام عالمي، سلوك وممارسة، سعي إلى إدماج الإنسانية ضمن إطاره، وتسييره في وجهة واحدة وفي إطار حضارة واحدة لتحقيق الوحدة الكونية أو الكوكبية، وإضفاء الطابع العالمي بدل المحلي على جميع الأنشطة الإنسانية، يقوم على الاعتقاد أن هناك ميلا نحو التوحد في القيم والقواعد والممارسات والثقافات وفي الانتاج والسلوك والاستهلاك...، يتحول فيه العالم إلى محطة تفاعلية كونية، يتماهى فيها الكل مع الواحد.

وهي: "العملية التي بمقتضاها يتم إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي، وقيم موحدة، تقوم على مبادئ إنسانية عامة" (26).

فقد نما الاحساس بأن العالم سيصبح ولأول مرة في التاريخ مكانا وزمانا اجتماعيا وثقافيا واحدا، أين كانت العمليات والممارسات الاجتماعية والثقافية مجموعة من الظواهر المحلية المستقلة نسبيا، لقد بتنا نشهد تقاربا عالميا وترابطا سريعا، انكمش فيه العالم وأضحى قرية عالمية صغيرة، بفعل حرية تدفق السلع ورأس المال والمعرفة والثقافات والأفكار والسلوكيات...

خلق هذا التقارب واقعا فكريا مغايرا.. وزعزع فكرة الأقاليم والكتل الثقافية، وأحدث انتقالا نوعيا في مستوى العلاقات الثقافية بين الأمم والشعوب، وأوجد صيغا جديدة من أشكال التفاعل والتبادل الثقافي والمعرفي بينهما.. وبات من الوهم والغلط الابقاء على الحواجز الفاصلة بين الشعوب والمجتمعات، أمام القفزة النوعية التي عرفها مجال الاتصالات والمعلوماتية، " فقد بدأ عصر العولمة مستغلا ثورة الاتصالات، التي شملت جميع ميادين ووسائل الاتصال الجماهيري، بالبرهان على سرعتها المستمرة فضلا عن قدرتها على اختراق الآفاق واختزال الأبعاد والمسافات، الأمر الذي يزيد من التشابك السريع للمعطيات في تصاعد وتمدد وبشكل يومي" (27).

طرحت هذه التحولات الكونية المستجدة تحديات بالغة الخطورة على الهويات الثقافية، وبات من الضروري التنبه إلى أهمية الأبعاد الحضارية في التفاعلات العالمية، خاصة خطر المجانسة الثقافية، التي تعني الانتقال من المرتبطة عن طريق التقارب إلى فرضية الاتساق العالمي وكلية الوجود، وكيف أن الإحساس بالانتماء الثقافي قد يتبدل بفعل اختراق أجهزة الاعلام المعولمة لحياتنا اليومية، مما يعني حدوث تحول في الممارسة والخبرة داخل النواحي المحلية والحياة برمتها، لذلك وجب منح الأولوية للتحليل الثقافي، فهناك تماثلات ثقافية جديدة آخذة في الظهور بسبب المزج الثقافي، الأخذ في الازدياد مع تقدم العولمة، فالثقافة بطبيعتها متدفقة وديناميكية ومتعددة الأشكال ودائمة التغير، ثقافات مسافرة تتفاوض مع نفسها في علاقات داخلية وتتفاوض مع غيرها في علاقات خارجية، استطاعت تجنيسها تدريجيا ضمن إطارها.

2-2- الثقافة العالمية: أية امكانية؟

1-2-3- الرؤية الطوباوية:

توحي العولمة في مجال الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي: "أن هناك خصائص ثقافية ذات طابع عالمي، خصائص ثقافية، متحررة من تأثير ثقافة بعينها، تصلح لأن يأخذ بها الأفراد المنتمون إلى ثقافات ومجتمعات متباينة... ويفترض في الخصائص الثقافية التي تناسب العولمة عدم تعارضها مع الأصناف المحلية للقيم" (28).

والمقصود بالعولمة الثقافية هو التقارب الذي يحدث بين الثقافات المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية بينهما وصهرها في بوتقة واحدة، ثقافة عالمية توفيقية، تشارك كل المجتمعات الإنسانية في صياغتها في إطار من التعاون الإنساني القائم على التعايش والإقرار

بحق الاختلاف والتمايز، فقد تشابكت الممارسات الثقافية عبر العالم بصورة واسعة ، فيما ضغط التنوع الثقافي واختزل التباين الثقافي - نسبيا- على صورة واحدة مهيمنة متجانسة. ويعني هذا فرض مكون ثقافي عالمي، وتقديمه كنموذج ثقافي فعال يضبط فيه سلوك الدول والشعوب ، وتستهن فيه النزعة القومية، ومقولات الثقافات النقية والأصلية والمحلية.

تفرض هذه الثقافة العالمية " تجردا من الولاء لثقافة معينة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا،.تحررا من التعصب لإيديولوجيا معينة، والاتجاه نحو الانفتاح على مختلف الأفكار دون تعصب وتشنج، تحرر من كل الصور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو دين أو أيديولوجيا بعينها، وتبني عقلانية العلم وحياد الثقافة." (29).

تجد هذه الرؤية مجالا لها في رواية "2084 العربي الأخير" لواسيني الأعرج ، حيث أوجد الكاتب صيغا منفتحة على الغيرية، تتخطى الصور الشائعة للآخر المقولب سياسيا وثقافيا، إلى آخر قريب تقتسم معه الذات فضاء الألفة ، إنه الآخر الانساني الذي تمثله (أمايا ، إيفا ، سميث) شخصيات الرواية، أمايا اليابانية طبيبة متخصصة في الطب الاشعاعي و زوجة آدم عالم الفيزياء العربي بطل الرواية ، وهي امرأة مفعمة بالقيم الانسانية ، تقدر كرامة الانسان وتمتنع عن المساس بها، تؤمن أن الآخر إنسان موجود مع أننا من أجلها وليس ضدها ، تلعن الحرب و من يقف وراءها، ترفضت بشدة قبيلة البوكيت بومب النووية، مشروع زوجها المخدوع ، كلل زواجهما ببنت سميت "يونا" ، وقد قصد الكاتب بهذه الثمرة التأكيد على إمكانية التواصل الإنساني والتفاعل الطوعي والتلاقح الفكري والجسدي بين المجتمعات والحضارات المختلفة بما يحقق استمرار الانسان ، الذي لن يتحقق إلا بتجاوز النظرة الصدامية إلى فضاء التراشح الحضاري في معناه الأوسع. أما إيفا كريستوفر فهي ناشطة في مجال حقوق الانسان ، ترأس جمعية رابطة الدفاع عن حقوق الأجناس الأيلة للزوال، تدافع باستماتة عن سكان آرابيا المعرضين للظلم والجوع والذل و الموت المنظم بالحروب الداخلية أو الإرهاب ، جابت العالم دفاعا عن الضعفاء تاركة أسرتها في ستوكهولم، اختارت البقاء في صحراء آرابيا صحراء الموت ، ووظفت كل امكانياتها وعلاقاتها لمساعدتهم " لا أفهم كيف تزج امرأة جميلة بنفسها في مغامرات حقوق الانسان التي لا قيمة تجنيها من وراءها إلا المتاعب والمخاطر الكثيرة على صحتها و حياتها ، وزوجها مرتاح في القصر الملكي السعودي ، فهو المشرف الرئيسي على إدارة ميزانية القصر " (30)، إيفا مثال للتعاطف الكوني الذي يعزز أواصر التواصل بين الأنا و الآخر بغض النظر عن معتقده و جنسه، و هي صورة للآخر الحيوي المتحرر من ذاته ، الذي صار جزءا حقيقيا من الأنا العربية ، وشريكا مشبعا بالدلالات الايجابية التي تركز لثقافة الحوار، وتحضر

الصداقة في الرواية مع سميث غوردن كبير العلماء ، أقرب سكان أميروبا إلى روح آدم العربي و أكثرهم فهما لداخله ، صديق دراسة و عمل " أقدرك كثيرا يا سميث ، و أثق فيك بشكل أعى أشرك بحب على وفائك و طيبتك الكبيرة معي ، وعلى أنك أخرجتني من عزلة العدمية" (31)، رجل حق ، يتخوف من الاستعمالات الاجرامية للقنبلة، تشهد مواقفه على انسانيته ، فقد رفض الشعار العنصري الذي وضعه ليتل بروز قائد القلعة "العربي الجيد الوحيد ، هو العربي الميت"، أدان التحيز لأزريا (اسرائيل) و سياسة الكيل بمكيالين و شكك في مصداقية القرارات ضد الدول المالكة للنووي .

في الرواية نص في ماهية الحب و الصداقة باعتبارهما قيمة شعورية بين قطبين مختلفين ، ترسي قيم التواصل و التلاحم و التقاطب ، تتفاعل فيه الغيرة الجنسية بين الأفراد و الحضارات ، ذلك أن البشرية تنزع بفطرتها نحو الوئام و السلام ، نحو الحب و التعايش.

الحلم بثقافة عالمية وليد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد تعزز في هذه الفترة وعي ثقافي يدعو إلى الأندية والتقارب، وظهر التطلع نحو إقامة عالم يتسم بالوحدة العليا للجنس البشري، انطلاقا من الفهم الانساني المشترك، والانفتاح الثقافي والمسؤولية الأخلاقية العالمية، عالم يعتمد على الإحساس باعتمادية عالمية متبادلة، وعن وجود مصالح مشتركة إيماننا بحتمية التضامن والتماثل البشري، توجه يدعم التفاعل بين الحضارات والتلاقح بين الثقافات، "والمقارنة بين الأنساق الثقافية والتعارف بين الأمم والشعوب، يرى العالم" منتدى حضارات" بينها مساحة كبيرة من " المشترك الإنساني العام" ، لكل منها هوية ثقافية تتمتع بها ، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لا بد من مراعاتها في إطار توازن المصالح وليس " توازن القوى". (32)، رغبة في التعاطي مع الآخر من موقف فكري وجمالي، والانفتاح على خبرات ثقافية متباينة ، احساس بالانتماء إلى العالمي الأوسع، هوية متماسفة غير مؤطرة بالمحلية، مع وعي بالتعددية المشروعة للثقافات، فهناك نزعة ثقافية سيحتاج الانسان إلى عولمتها، بعيدا عن التقسيمات الأممية والارتباطات المحلية تتوحد فيها اللغة والأدب، والأذواق الثقافية، و تصبح الابداعات الفكرية ملكية مشتركة، رؤية شديدة الحساسية اتجاه قضايا الهيمنة الثقافية والتمركز العرقي.

لذا ينبغي التسليم بأنه "قد يكون هناك قيم اتفاقية يمكن بنائها فيما يتعلق بهذه العمومية commonacity. إن السعي وراء مثل هذه القيم الاتفاقية valeurconcensual على سبيل المثال في الخطاب القانوني السياسي حول حقوق الانسان العالمية.... هو أمر محمود، ولا يشترط بالضرورة أن ينطوي على قمع الاختلاف، حتى أن الحالة ثمة ضرب من المصلحة

الانسانية الكونية، يعد جوهرها بالنسبة لإعادة تضمن الهوية المحلية في الحداثة العالمية" (33)، وتعزيز الهويات الثقافية والحقوق القانونية والسياسية على مستوى عالمي.

إذا كانت العالمية المنشودة إقرار بحق الاختلاف والتمايز واعتراف بالتنوع الثقافي والتعددية الحضارية، والخصوصية الثقافية، وسعي لأخلقة العالم، وإذا كانت العولمة تحول من الخاص إلى العام ومن المحلي إلى العالمي ومن الخصوصي إلى الكوني ومن الوطني إلى الكوني ومن الوطني القومي إلى الشمولي العام في الفكر والسلوك والوجدان والممارسة، ألا يحق لنا أن نتساءل في ظل المفارقة بينهما، هل يمكن فعلا تحقيق الثقافة العالمية مادامت العولمة تميل إلى التجنيس والتنميط والتماثل، بينما ترسخ العالمية للتباين والفرادة؟!

2-2-3- الرؤية الايديولوجية:

يقودنا السؤال إلى قضية الامبريالية الثقافية، القائلة بأن الثقافة العالمية قد تصبح ثقافة مهيمنة، تظهر في الهيمنة المتزايدة لثقافات مركزية معينة، فمما لا شك فيه أنه قد تم تسليع نسبة كبيرة من الممارسات الثقافية بفضل إنجازات تكنولوجيا الاتصالات، وتحولت إلى أشياء تباع وتشترى، بغرض مجانسة التجربة الثقافية من خلال التسليع، فالتمثيلات الرمزية الموجودة في التسويق، وعلى الرغم من غايتها الاقتصادية فهي ثقافية، والنصوص الاعلامية صناعة ثقافية، وبماكانها التأثير في المفاهيم والقيم والآمال والسلوكيات والأفكار، وفي ثقافات الشعوب. والثقافة كطريقة حياة يتم فهمها على أنها محلية، وهي عامل في تكوين المعنى الذي يعبر عن الحالة الوجودية للأفراد، والممارسات الثقافية، وهي ما يمنحهم المغزى، وبمرور الزمن تخلق التباين الثقافي الذي يصبغ العالم.

لقد مارس خطاب العولمة إكراهاته المختلفة، من خلال التبشير بقيمه الخاصة ومحاولة تعميمها واصباغها بصبغة عالمية كونية، وهذا في حقيقته إسقاط غير مبرر للقيم الغربية على جميع الثقافات العالمية، محاولة لتعميم الخاص الذي يتنكر في صورة الكوني، حالة من الايمان الميتافيزيقي بأن القيم الغربية المحلية جديرة بالاعتماد والقبول من قبل كل الثقافات والشعوب "إذا كانت العولمة في ظاهرها تدعو إلى توحيد الأفكار والقيم وأنماط السلوك على مستوى ثقافات العالم إلا أنها تخفي وراءها، إمكان تجريد الشعوب من مقوماتها الثقافية المتميزة والمنفردة، كما تتضمن تعريض ثقافتها لتأثير ثقافة عالمية واحدة تتولى صياغتها وتشكيلها القوى الأكثر تقدما والأشد قدرة على نشر أفكارها بما تمتلك من تقدم في تكنولوجيا

الاتصال والإعلام، الأمر الذي يسلم في النهاية إلى هيمنة هذه الثقافة على بقية ثقافات العالم وتهميشها" (34).

لقد أصبحت العولمة خطرا فاعلا على خصوصية الثقافات والمجتمعات المتباينة. وعلى مقومات الأمة الروحية ودستورها القيمي والأخلاقي، بما تتسم به من سطحية وهشاشة وتلاعب بالعقول، وبما تولده من خواء واستلاب، إذ أصبح الاستهلاك الإعلامي صورة للمفاهيم الثقافية، ووسيلة لغزو العقول وإخضاعها وتنميط الأذواق وتوجيه الخيال، تبعية ثقافية، "إن أخطر ما في العولمة أنها تنشر أفكارا وسلوكيات من شأنها أن تحطم الولاء للقيم التراثية والدينية الأصيلة، والولاء للوطن والأمة وإحلال أفكار وولاءات جديدة محلها، تعمل على اختراق البنية الثقافية للشعوب والحضارات ومحو الهوية الحضارية والخصوصية الثقافية المميزة لها، بما تنطوي عليه عملية الترويج لقيم معينة لحضارة معينة". (35).

حاولت الرواية العربية أن تجيب عن الأسئلة المتعلقة بالهوية والوعي بالذات وبلورة الكيان، وشكلت القضايا المتعلقة بالأنما والآخرا بما تحمله من تمايزات ايديولوجية وثقافية محورا هاما فيها، كما طرحت القضايا المتعلقة بتأثير الثقافات الوافدة في البنية العقدية والفكرية واللغوية للمجتمعات العربية وفي خصوصيتها الذاتية، ففي رواية "مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج، تحمل "مايا" البطلة مشروعا يسعى إلى زحزحة القيم والموروثات التقليدية والأحكام المألوفة، لإعادة تشكيل واقع جديد بعيد عن الصورة النمطية، يتبنى الثقافة الفرنسية كمعيار حديثي مركزي، ومصدرا للقيم الثقافية التي تحملها، تعيش "مايا" صراعا داخليا وتصدعا هوياتيا، هوية ممزقة بين هوية أصيلة وأخرى مستعارة متحررة تماما من كل قيد، وتعاني تخبطا ومفارقة إزاء القيم الواقعية الحتمية -التي نشأت بفعل موجات العولمة-، وقيم الأنما العميقة المتوارثة، وعي مشوش يحرمها اعتماد مرجع ثقافي واحد، ويدفعها إلى اختيار النموذج العلماني المعاصر.

ترفض "مايا" الشخصية البطلة المرجع القومي العربي كعنصر من عناصر الهوية الوطنية. وقد عبرت عن تلك الرؤية بلعبة الأسماء، بتغيير الأسماء العربية إلى أخرى غربية تزيد الأنما اغترابا وانسلاخا عن أصوله، "... أنتهي إلى فكرة أن الاسم الحقيقي هو ذلك الذي خلقته له، وليس الاسم الذي ألصق به، فاسمه الذي يجره وراءه هو فقط لنعت الكتلة لا أكثر، بي نزعة طاغية لرفض المسلمات الجاهزة والشك في صحتها" (36)، لقد غيرت اسم "الزبير" والدها إلى "زوربا" وهو بطل رواية نيكوس كازانتزافي، واسم والدتها "فريجة" إلى "فيرجي" وهي فيرجينيا وولف صاحبة رواية "الأمواج" وأخوها "نعمان" صار "رايان"، واسم صديقها "نور الدين" أصبح

"ديدو"، و"فادي" حبيبها الافتراضي أمسى "فاوست" وهو بطل ملحمة غوته الشهيرة، واسم "زليخة" صار "زوزو"، و"مراد" تحول إلى "ميرو"، فبتبدل الأسماء تتبدل الهويات وهذا يستدعي بالضرورة تمثل ثقافة جديدة تتغذى من المرجع الغربي عامة والثقافة الفرنسية خاصة.

و بالبحث في تاريخ الصحابي الزبير ابن العوام، وجدت معلومة صدمتها و "أنبتت الشوك في لحمي و أعطتني كل المبررات لتغيير اسم والدي"، كان الزبير بن العوام ... يقطع الرأي في لمح البصر ...، اشتهيت لوالدي قدر زوربا الاغريقي الذي عاش الحياة بكل عنفوانها السخي "(37)، من يكون زوربا؟، " أعوذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله، أبوك حاشا أن يكون مثل زوربا المضروب علي النساء، ... رجل بلا مخ و فاسق ...، يتصابى على المراهقات و الأرامل و العشيقات التائهات" (38)، فالقصد هو تشويه التاريخ العربي الاسلامي وضرب رموزه، ووصفه بالتاريخ الارهابي الدموي. لقد تجاوزت لعبة الأسماء أو التناص الثقافي حدود الظاهر، لتؤكد فعليا رغبة البطلة في مسح الهويات القائمة وتفريغها من مقوماتها الدينية و الفكرية و اللغوية، واستبدالها بأخرى.

البعد الثقافي للعولمة هو أخطر أبعادها، كونها استراتيجية قمعية وسياسية هيمنة وإقصاء لفكر المغلوب، وتمكين لثقافة الغالب وفلسفته، فهي إمبريالية ثقافية، وامتداد لنزعة استعمارية لا تحترم التعدد الثقافي، ولا تقر بالخصوصيات الفردية، كونية كاذبة لا تحترم الإنسان ولا جذوره "ليس صحيحا أن العولمة الثقافية هي الانتقال من حقبة -ومن ظاهرة- الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، على نحو ما يدعي مسوقو فكرة العولمة الثقافية، بل إنها -بالتعريف- فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح وبالتقانة، فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبتلعها العولمة" (39).

و الثقافة الكونية المزعومة لن تسمح لأي ثقافة محلية بالتواجد والاستمرارية ووضع بصماتها في صياغة الثقافة العالمية، ما لم تنازل عن بعض مرجعياتها القيمية وثوابتها الأصيلة، لأنها لم تكن أبدا محصلة تفاعل طبيعي بين الثقافات الإنسانية، ولم تقم على مبدأ التكافؤ والحوار والتفاعل المشترك، ولم تحترم التباين الثقافي، ولن تكون يوما مشروعا للعيش المشترك، إنها "استراتيجية سيطرة ونهب مدعومة بمركزية ثقافية تحاول باستمرار التمكين لثقافة الغرب وبسط نموذجها في الحياة، فهي بالدرجة الأولى تكريس للهيمنة الفكرية المعرفية في الرؤية والنظر قبل تكريسها في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. من خلال خلق أفضل الشروط وتثبيت أحسن الظروف التي تجعل الشعوب الأخرى أكثر قابلية وأكثر استجابة

لمتطلبات المركز الغربي على مستوى الانتاج والاستهلاك، وحاجته لنظام عالمي تراتبي، يبقى فيه الأطراف تابعة لا مستقلة، أو متساوية مع المركز، يجد هذا المنطق مرجعه فيما أسميناه بالأصل المادي لحضارة الغرب في ذاتها، وهو الأصل الذي يجعل دوماً وأبداً عالميتها مشروطة بإبقاء مسافة فاصلة بين الغرب والآخر، حرصاً على أن يكون هذا الأخير (الآخر) سوقاً وسلعة لا أكثر" (40).

إن فكرة العولمة ليست مثاقفة بين المجتمعات، ولا حواراً بين الحضارات التي من شأنها أن تتلاقح مع الاحتفاظ بخصوصياتها، إنها هيمنة حضارة واحدة بكل ما تحمله من ازدواجية في المعايير، وتناقض في القيم وفوضى في الحياة الاجتماعية، "العولمة المعاصرة باعتبارها أيديولوجية التجانس الكلي، طريقها إلى الانتشار وعرة رغم كل المؤشرات الدالة على تمكن بوادرها من الإنسانية عامة، لأنها تصطدم بالإنسان الفرد في أعماق محددات كيانه وهويته، رغم المغريات وعالم الأوهام والأحلام الذي تحمله إليه، والإنسان لا يكون واحداً وحيداً، ووحدانيته من خصوصيته التي ترفض الذوبان والانصهار في واحد منمط متجانس محدود المعالم مقولب في علب جاهزة للبيع والشراء، فالإيديولوجيا التقليدية بما في ذلك الأديان السماوية والوضعية قد سعت إلى اختزال الإنسان بعولته فتحا وغزوا، لكنها أذعنّت لواقع التمايز والتغاير، وتخلت عن تَوْقِ طوباوي إلى تملك الإنسان مقولباً في شكل واحد" (41).

إن رحابة العالم وتنوع الثقافات وثرائها يستحيل تضيقها وتقزيمها بالفكر الأوحّد، إذ لم يعد ممكناً أن ينفرد أي جزء من البشرية وحده بامتلاك ثقافة وحدها تحمل الحقيقة المطلقة، ولا مبرر للدعاء بوجود فوقية للثقافة على الأخرى، ومن الخطأ الاعتقاد بفرض رؤية كونية خاصة وتعميمها على الوجود، ليس هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت وستوجد، ثقافات متعددة، متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانه ومقوماتها الخاصة، من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع، ومنها ما ينعزل حيناً وينتشر حيناً آخر" (42).

قد ينتج عن التقارب الثقافي وامتزاج الثقافات ببعضها البعض ثقافات هجينة من خلال دمج العالمي والمحلي، لكن ينبغي التشديد على أن التهجين نفسه يتعارض مع التماثل والتنميط، فهو يؤكد التنوع المتزايد، وهذا الاندماج لا يؤدي بالضرورة إلى التجانس المطلق، ولا يمكن البتة أن تفصل الروابط بين الثقافة والموقع، فهناك ترابط وثيق بين الإقليم والثقافة،

وهذا لا يعني الإشارة إلى التوقع أو إغفال التأثير الخارجي، فهناك مرونة وحركية وتفاعلية في حركة الثقافة وفقا لفكرة اللاتوطين.

بإمكان العولمة أن تخلق أنظمة اقتصادية وسياسية واقتصادية وإعلامية واحدة، لكنها تعجز أمام تجنيس الإنسان، فهو على وحدة جنسه يبقى الكائن الوحيد العَصِي عن التنميط،

هناك تقارب ثقافي أخذ في التشكل، لكن التجانس والتنميط الكامل أمر لم يحدث ومن المرجح عدم حدوثه مستقبلا، فالهويات الثقافية هي أمنع الحصون وأقوى الدروع ضد الاختراق والذوبان الكلي، والثقافة مؤسسة رمزية وكيفية خاصة لرؤية الوجود والحياة وهي أسلوب في العيش والإدراك والسلوك، وهي تعبير عن التمايز بين الشعوب والمجتمعات البشرية، في ضوءها يتعرف الفرد على نفسه وعلى الآخرين، مجموعة من السمات الروحية والفكرية والعاطفية والمادية بواسطتها تستطيع الشعوب تأكيد حضورها ومشاركتها في المنجز العالمي، والرموز الثقافية هي جوهر كينونة الإنسان، تحتل موقعا متجزئا ومركزيا في بنية الشخص وعمق كينونته وروحه.. ولكل ثقافة نظام من المناعة الذاتية تقف بموجبه ضد كل أنواع التغيير والانقسامات التي تهدد انسجامها الداخلي، فهناك أنساق وأنظمة مستعصية على الذوبان.

وما نراه اليوم من انبعاث للحضارات ليس سوى صيغة من صيغ يقظة المغلوب الذي عاد إلى الذاكرة الجماعية الثقافية للاحتماء والرفض، ومحاولة فهم الآخر، وبقدر ما تملك ثقافة ما القدرة على الانفتاح والحوار بقدر ما تسهم في استمرارية كينونتها وتطورها، فالهوية الثقافية، كيان يتطور وليس معطى جاهزا، تغتني بتجارب أهلها وباحتكاكهم مع الهويات الأخرى،

إن الاقتدار الذاتي والفاعلية والحركية شروط لا بد من توافرها للتعايش، والعولمة الثقافية لا تنتج ثقافة عالمية، بل مزيجا من الثقافات تتصارع أو تتعايش.

خاتمة:

- اتصال الحضارات وتجاوزها ظاهرة قديمة، متجددة، سنة كونية، تنوعت آلياتها ووسائله.

- تقوم المثاقفة على مبادئ: التسامح والحق في الاختلاف الثقافي والنقد الذاتي، إيجابيتها مرهونة بوجود علاقات متكافئة، بين الثقافات المتباينة، والإقرار بالإنسانية المشتركة، والانفتاح على القيم والمكتسبات العالمية الانسانية، من ثمار الفكر والفن والأدب والعلم والمعرفة، وهي عامل من عوامل الإغناء والازدهار الحضاري، تمكن من وعي الذات والآخر، في وجود التماسك بين المشترك والخاص، العام والمحلي.

- تسعى الثقافة المعولمة إلى فرض مرجعياتها القيمية على سائر الثقافات الإنسانية الأخرى من خلال تفكيكها وإعادة تشكيلها، لتحقيق أكبر قدر ممكن من التجانس والتنميط الثقافي.
- الثقافة الغربية المركزية محكومة بطابع الاستعلاء وبعبقده التفوق، ودعوتها إلى التنوع والاختلاف ذريعة لتبرير هيمنتها، وهذا ما يحد من إمكانية قيام ثقافة عالمية إنسانية متزنة ومتوازنة.

الهوامش:

- 1- صلاح السروي: المثاقفة و سؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن، الكتبي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
- 2- عبد الرزاق دواوي: في الخطاب عن الثقافة و الهوية الثقافية، مجلة ايس، مؤسسة الأخبار للصحافة، الجزائر، العدد الثاني، 2007.
- 3- محمد عمارة: العطاء الحضري للإسلام، سلسلة اقرأ رقم 26، دار المعارف، القاهرة 1997 ص 129.
- 4- محمد عمارة، المرجع نفسه، ص 129.
- 5- صبحي الطعان: عالم عبد الرحمان منيف الروائي (تنظير وانجاز)، دار كنعان للدراسات و النشر، دمشق، سوريا، ط1، 1995، ص ص 211-212.
- 6- رويترز: واسيني الأعرج يسحب رواية جورج أورويل 1984 على العالم العربي / يوم الخميس 10 مارس 2016، الساعة 11:17، www.youm7.com/story/...2622507
- 7- واسيني الأعرج: حارسة الظلال، منشورات الفضاء الحر، دط، الجزائر، 2001، ص 109.
- 8- واسيني الأعرج: أحلام مريم الوديعه، حكاية مصرع الساموراي الأخير، ورد للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، 2008، ص 6.
- 9- أحمد ياسين السليمان: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان دمشق، سوريا، ط1، 200، ص 107.
- 10- فيصل دراج: لا وجود لهوية الا في مقابل هوية أخرى: الأنا والآخر والارتباط الفاصل بينهما، الدستور، عمان الجمعة: 23 أيار/مايو 2008، الثالثة مساء.
- 11- بلعالية دومة ميلود: الثقاف و خطاب التأويل، مجلة جسور المعرفة، المجلد 03، العدد 12-2017، ص 84.
- 12- تحرير و بحوث و مناقشات الثروة الفكرية: أسامة امين الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت- لبنان، ط1 1998 ص 318.
- 13- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 13- عامر عبد زيد الوائلي، الأصالة و المثاقفة، التنوع الثقافي و حوار الحضارات، صحيفة العرب الثقافي، الأحد 15 أكتوبر 2017.
- 14- إبراهيم نويري: مركزية الحضارة الغربية.... مستقبل الراشدة في القرن العشرين، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلد 24، العدد 51، جوان 2020، ص 284.
- 15- واسيني الأعرج: 2084 حكاية العربي الأخير، موقف للنشر، الجزائر، ص 99.

- 16- المرجع نفسه، ص113.
- 17- المرجع نفسه، ص343..
- 18- المرجع نفسه، ص22.
- 19- جبرار لكبيرك: الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة، جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط2، بيروت، لبنان، 1990، ص 87.
- 20- أولف هانرز: سيناريوهات ثقافة الأطراف: في الثقافة و العولمة و النظام العالمي، تحرير: أنطوني كينج، ترجمة: شہرت العالم و هالة فؤاد و محمد محي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 205، ص 161-162، د.ط.
- 21- عبد القادر فيدوح: النسق الثقافي للكلونيالية الجديدة، في حكاية العربي الأخير، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية ، المجلد الأول، العدد الأول، جوان 2019، ص 190.
- 22- أمين جلال: العولمة والهوية الثقافية و المجتمع التكنولوجي، مجلة المستقبل العربي، العدد 60، ب س ، ص 100.
- 23- جابر عصفور: حوار الحضارات و الثقافات، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 2007، د.ط، 2007، 28.
- 24- ممدوح محمود منصور: العولمة، دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد، دار الجامعة الجديدة.د.ط ، 2003، ص 11.
- 25- محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2003 ، ص 136.
- 26- حجازي أحمد مجدي: العولمة وآليات التهميش في الثقافة العربية، المؤتمر الرابع حول الثقافة العربية في القرن القادم، بين العولمة و الخصوصية- جامعة فيلادلفيا، الأردن، 1998، ص03.
- 27- فاروق أنيس جرار: الرسالة و الصورة، قضايا معاصرة في الإسلام، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ب.ط، 2001، ص 25.
- 28- مصطفى عمر التير: الهوية الثقافية العربية و التعليم في الوطن العربي في ظل العولمة، بيروت، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، السنة 20، العدد 97، 1999، ص 13.
- 29- أمين جلال: العولمة و الدولة، ندوة العرب و العولمة، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية، تحرير: أسامة أمين الخولي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998 ، ص 153.
- 30- واسيني الأعرج : 2084 حكاية العربي الأخير، مرجع سابق، ص60.
- 31- المرجع نفسه ، ص146.
- 32- محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية و العولمة العربية، مكتبة الامام البخاري للنشر و التوزيع، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط1، 2009 ، ص 11.
- 33- جون توملينسون: العولمة و الثقافة، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان و المكان، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الأعلى للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 354، 2008.د.ط، ص 79.
- 34- محمد عابد الجابري: العولمة و الهوية الثقافية، ندوة العرب و العولمة، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية، تحرير: أسامة أمين الخولي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1998 ، ص 198.

- 35- أمين جلال: العولمة و الدولة، ندوة العرب و العولمة، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية، مرجع سابق، ص 156.
- 36- واسيني الأعرج : مملكة الفراشة، دار بغداد للكتاب والنشر، الجزائر، 2014، ص 67.
- 37- المرجع نفسه، ص 83.
- 38- المرجع نفسه، ص 87.
- 39- عبد الإله بلقزيز: العولمة و الهوية الثقافية - عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، العرب و العولمة، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية، تحرير أمين أسامة الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 318.
- 40- عميرات عبد الحكيم: التنمية و مشروع التغريب: قراءة تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية، ماجستير علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة الجزائر 2005، 02، ص 198.
- 41- عبد المجيد البدوي: العولمة الثقافية ووسائل الاتصال الجماهيري، مجلة الإذاعات العربية، العدد 03، 2001، ص 14.
- 42- محمد عابد الجابري- العرب و العولمة : عشر أطروحات، العولمة و الهوية الثقافية، مرجع سابق، ص 297.
- قائمة المراجع:**
- 1- إبراهيم نويري، مركزية الحضارة الغربية، مستقبل الحضارة الراشدة في القرن العشرين، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلة 24، العدد 51، 2020.
- 2- أحمد ياسين السليمان: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009.د.ط.
- 3- أمين جلال: العولمة و الدولة، ندوة العرب و العولمة، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية، تحرير: أسامة أمين الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 4- أمين جلال: العولمة و الهوية الثقافية و المجتمع التكنولوجي، مجلة المستقبل العربي، العدد 60، ب س .
- 5- أولف هانزر: سيناريوهات ثقافة الأطراف، في الثقافة و العولمة و النظام العالمي، تحرير: انطوني كينج، ترجمة: شيرت العالم و هالة فؤاد و محمد محي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 205.
- 6- بلعالية دومة ميلود: الثقافت و خطاب التأويل، مجلة جسور المعرفة، المجلد 03، العدد 12، 2017.
- 7- جابر عصفور: حوار الحضارات و الثقافات، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 2007، د.ط، 2007.
- 8- جون توملينسون: العولمة و الثقافة، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان و المكان، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الأعلى للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 354، 2008.د.ط.
- 9- جيرارلكليك: الأنثروبولوجيا و الاستعمار، ترجمة : جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات، النشر و التوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1990.
- 10- حجازي أحمد مجدي: العولمة وآليات التهميش في الثقافة العربية، المؤتمر الرابع حول الثقافة العربية في القرن القادم، بين العولمة و الخصوصية- جامعة فيلادلفيا، الأردن، 1998.
- 11- رويترز : واسيني الأعرج يسحب رواية جورج أورويل 1984 على العالم العربي / يوم الخميس 10 مارس 2016، الساعة 11:17، www.youm7.com/story/...2622507

- 12- صبيح الطعان :عالم عبد الرحمان منيف الروائي (تنظير و انجاز)، دار كنعان للدراسات و النشر ، دمشق ، سوريا ، ط1، 1995..
- 12- عامر عبد زيد الوائلي: الأصالة و المثاقفة، صحيفة العرب الثقافي، الأحد 15 أكتوبر 2017، التنوع الثقافي و حوار الحضارات.
- 13- عبد الإله بلقزيز: العولمة و الهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، ندوة العرب و العولمة، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية، تحرير: أسامة أمين الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان ط1، 1998.
- 14- عبد القادر فيدوح، النسق الثقافي للكونولونيالية الجديدة، في حكاية العربي الأخير، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية ، المجلد الأول، العدد الأول، جوان 2019.
- 15- عبد الرزاق دواوي: في الخطاب عن الثقافة و الهوية الثقافية، مجلة ايس. مؤسسة الأخبار للصحافة، الجزائر، العدد الثاني، 2007.
- 16- عبد المجيد البدوي: العولمة الثقافية ووسائل الاتصال الجماهيري، مجلة الإذاعات العربية، العدد 03، 2001.
- 17- عميرات عبد الحكيم: التنمية و مشروع التغريب، قراءة في تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية، رسالة ماجستير، علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2005.
- 18- فاروق أنيس جرار: الرسالة و الصورة، قضايا معاصرة في الإسلام، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ب.ط، 2001.
- 19- فيصل دراج: لا وجود لهوية الا في مقابل هوية أخرى: الأنا و الآخر و الارتباط الفاصل بينهما، الدستور، عمان، الجمعة 23 أيار/مايو، 2008، الثالثة مساء.
- 20- محمد عابد الجابري: العولمة و الهوية الثقافية، ندوة العرب و العولمة، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية، تحرير: أسامة أمين الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1998.
- 21- محمد عابد الجابري: قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2003.
- 22- محمد عمارة: العطاء الحضاري للإسلام، سلسلة اقرأ، رقم 26، دار المعارف، القاهرة، 1997.
- 23- محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية و العولمة العربية، مكتبة الامام البخاري للنشر و التوزيع، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط1، 2009.
- 24- مصطفى عمر التير: الهوية الثقافية العربية و التعليم في الوطن العربي في ظل العولمة، بيروت، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، السنة 20، العدد 97، 1999.
- 25- ممدوح محمود منصور: العولمة، دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد، دار الجامعة الجديدة. دط ، 2003.
- 26- واسيني الأعرج: أحلام مريم الوديعه، حكاية مصرع الساموراي الأخير، ورد للطباعة و النشر و التوزيع ط2، 2008.
- 27- واسيني الأعرج : حارسة الظلال، منشورات الفضاء الحر، دط ، الجزائر، 2001.
- 28- واسيني الأعرج : 2084 حكاية العربي الأخير، موقف للنشر، الجزائر، 2015.
- 29- واسيني الأعرج : مملكة الفراشة، دار بغداد للطباعة و النشر، الجزائر، 2014.